الأديان ، والغير ..
من الذى يعادى السامية ؟! (*)

مهما كان نصيب الدين ، أى دين ، من الانفتاح أو الانغلاق ، من الانتشار أو الانكماش ، من العالمية أو المحدودية فإنه لا يستطيع أن يفترض أن الإيمان به واعتناقه قد عَمَّ أطراف المعمورة وآمن به الناس طُرًّا فلم يشذ عن اعتناقه والتصديق به أحد .. فذلك محال ، يأباه المنطق وأحوال الإنسان ، ويدحضه الواقع الذى يشهد عليه حال العالم وتفرق الناس فيه على أديان مختلفة ، سواء الأديان السماوية والكتابية ، أو غير ذلك من الديانات التى تعود مرجعيتها بغض النظر عن تصديق أهلها إلى حكماء أو فلاسفة أو مصدقات أو أساطير حلت بقدر أو بآخر فى نفوس من الناس اقتنعت بها وصدقتها ومنهم من يتعصب تعصبًا شديدًا فى الإيمان بها !!

هذه الحقيقة الواضحة ، فرضت وتفرض على الدين كل دين أن يفرد فى منظومته أسسا وقواعد وأسلوبا للتعامل مع «الأغيار» الذين لا يدينون به .. فهو لا يستطيع أن يغفل أو يتغافل عن وجود «الغير» الذى لا يعتنقه ولا يؤمن به ، وهو لا يستطيع مهما قوى الدين وذاع وانتشر

(*) الأهرام ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤.

أمره أن يعطى لهؤلاء «الأغيار» ظهره فذلك محاصرة وخنق للدين نفسه ، وتعقيم لقدرته بل صلاحيته للانتشار ، وتعطيل لقوة وحركة وتفاعل معتنقيه المؤمنين به مع الحياة بمن فيها من الأحياء والذين يسهمون بقدر أو بآخر فى صناعة الحياة وحركة الحضارات وصفحات الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .. على أن موقف الدين أى دين من «الغير» ،له بالضرورة خصوصية قد تقترب أو تختلف عما تراه أو تتخذه باقى الأديان ، وهذه الخصوصية واقع محتوم يستمد حتميته من فلسفة الدين نفسه ، وقيمه ومبادئه وأحكامه .. وهذا كله قد تختلف بل تختلف فيه وبالنسبة له رؤى ومواقف الأديان ، اختلافا يدعو العقلاء إلى التأمل والمراجعة حتى لا تتحول حوارات الأديان إلى صراعات ، وحتى لا تتغول اعتبارات المصالح التى تحكم أبناء الأديان فتؤدى إلى فتح أبواب قد لاتنغلق للتصادم الضار والمدمر بين الأديان !!!

الديانات السماوية جميعا كلمة الله !

لا تحمل الأديان السماوية فى بنيتها الأصلية أسبابًا للصراع ، فلا توجد فى الواقع أسباب للصراع بين عقائد الديانات السماوية لأنها جميعا كلمة الله ، فلا تناقض بينها ؛ ولأن العقائد بذاتها مسألة قلبية وجدانية مختصة بالمعتقد دون سواه ، تتعلق به فلا يقلقلها أو يزعزعها اعتقاد سواه ، ولا هى بذاتها تصارع أو تقاتل معتقدات الآخرين .. ولذلك فإن ما طرأ على «العقائد» دخيلًا فى بعض الأديان على كلمة السماء لم يكن بذاته سببا لتصادم أو صراع أو تقاتل ، فلا تصادمت المسيحية والإسلام فى

شأن عقيدة التوحيد على ما بينهما من اختلاف يجتهد كل طرف فى إبانة صدق رؤيته فيه دون صراع أو تصادم أو قتال ، ولا حدث صراع أو اقتتال بين المسيحية والإسلام من ناحية ، وبين اليهودية من ناحية أخرى ، رغم اتفاق المسيحية والإسلام على أن اليهود عادوا السيد المسيح عليه السلام وتعقبوه بالكيد والنكال والتآمر، ورغم اتفاق الأناجيل المسيحية مع القرآن على مسئولية اليهود عن «الصلب » وإن اختلفتا فى «شخص» المصلوب .. هل هو السيد المسيح بذاته وشخصه كما يؤمن المسيحيون ، أم أنه عليه السلام قد رفع إلى ربه وشبه الأمر على الصالبين فظنوا أنهم يصلبونه بينما صلبوا سواه !! .. فلا تصارعت المسيحية وتقاتلت مع الإسلام فى جزئية شخص المصلوب ، ولا تصارعت وتقاتلت المسيحية والإسلام مع اليهود الذين أجمعت الديانتان على أنهم المسئولون عن هذه المأساة !

*****